الفصل الأول
الشَّـــهوة والجهـــاز

إن بقى فى النفوس شىء من الشّك والرّيب بعد كل ما أعلمنا الله به وهدانا إليه، إذا بقى أى شك فى البعث والحساب بعد الموت، فليتفكر الإنسان فى نفسه وفى مراحل تكونه وتخلقه يجد البرهان والدليل. قال تعالى{وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ}(1)

لقد خلق الله سبحانه وتعالى البشر بنى آدَمَ، وكرّمهم على غيرهم من المخلوقات، وجعل بقاء النوع الإنسانى مرتبطاً بالزوجية والتناسل الحاصل بينهما، لذا فقد خلق الله لكل من الزوجين جهازاً تناسلياً خاصاً، يُقابل جهازاً تناسلياً آخر خاصاً بالطرف الآخر، ومن كل من الجهازين مجتمعين يتخلق الإنسان.

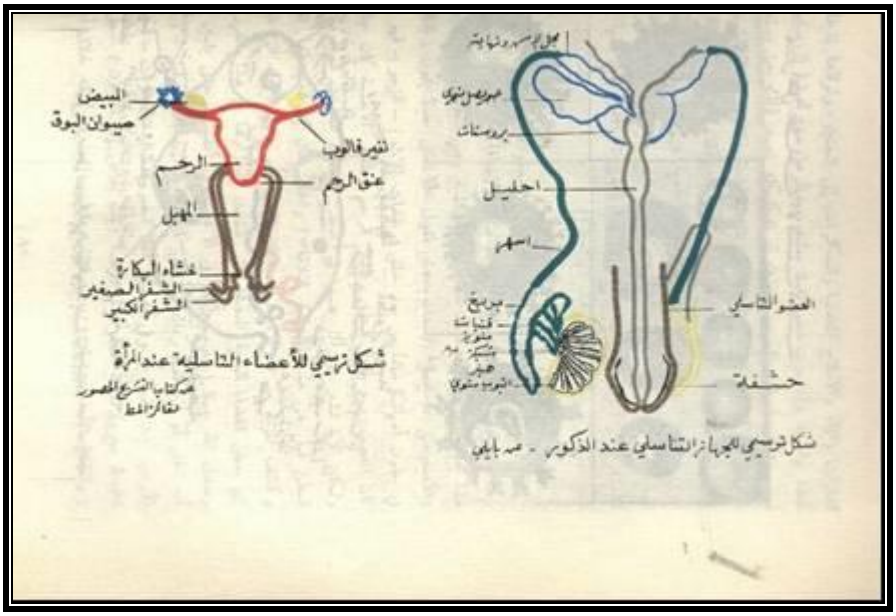

ولم يوكل التكاثر والتناسل إلى هذين الجهازين العضويين فحسب، إنَّما

(1) الذاريات: (20 - 21).

زرع فى كُلٍّ من الذكر والأُنثى الغريزة القوية الدافعة، فيبرز اندفاع تلك الغريزة فى مظهر الجوعات الجنسية المتطلبة الإشباع، فشاءت إرادة الله تعالى أن تثور جوعة الجنس متطلبة الإشباع ليتحقق بقاء النوع الإنساني. وفى ذلك يقول "ابن القيم الجوزية":

(ثم لمّا أراد الله سبحانه وتعالى أن يذر نسلهما - أى آدم وحواء - فى الأرض ويكثره، وضع فيهما حرارة الشّهوة ونار الشّوق والطَّلَب. وَألْهَمَ كُلاً منهما اجتماعه بصاحبه، فاجتمعا على قدر... ثُمَّ اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن قدّرَ لخروجها - الشّهوة - أقوى الأسباب المستفرغة لها من خارج وداخل... فقيض لها صورة حَسَّنها فى عين الناظر وشوقه إليها. وساق أحدهما إلى الآخر بسلسلة الشَّهْوَةِ والمَحَبَةِ، فَحَنَّ كل منهما إلى امتزاجه بصاحبه واختلاطه به، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً... وجعل هذا محل الحَرْث وهذا محل البَذر ليلتقى الماءان على أمر قد قُدِّر)[1]

هذا بالنسبة للغريزة وشهوتها - أى ثورتها متطلبة الإشباع -. أمّا بالنسبة للتركيب العضوي: فالجهاز التناسلى المذكر - محل البذر - "*Male Genitalia*" يتكون من مصنع للنطف "*Spermatozzons*" ومن مجموعة من الأنابيب الدقيقة الملتفة التى توصل تلك النطف عبر السائل المنوى إلى الإحليل "*Penis*"، والإحليل "القضيب" هو عضو انتصابى بانصباب الدّم فيه حتى يمكن ايلاجه فى الفرج "*Tiller*"، وقذف هذه النطف بالقرب من عنق الرحم فى المرأة.

ويتكون الجهاز التناسلى الأنثوى - محل الحرث - "*Female Genitalia*" من أعضاء تناسلية ظاهرة وأخرى باطنة. **أمّا** الظاهرة فتشتمل على فتحة الفرج "*Vent Insertion*" وعلى حافتيه الشفران الصغيران

(*1*) ابن قيم الجوزية، التبيان فى أقسام القرآن، صفحة (338).

والشفران الكبيران، وتقع فتحة الفرج فى الدهليز... ويقع أمام فتحة الفرج صماخ[1] قناة مجرى البول. وعند التقاء الشفرين الصغيرين من أمام يقع البظر"*Clitoris*". أما التقاء الشفرين الكبيرين من أمام فيكون جبل الزهرة.

أمّا الأعضاء الباطنة فتشمل مصنع النطف الأنثوية وهم: المبيضان " *Ovaris* "، والرحم " *Viterus* " وقناتيه، والمهبل " *Vegina* "، مخزن الحرث حيث يختزن الجنين.

إنّ بقاء النوع الإنسانى متوقف على الزوجية المنتجة للذرية. والزوجية تعتمد على التقاء وتزاوج جهازين تناسليين، أحدهما ذكرى والآخر أنثوي، ليقوما معاً بإنتاج المخلوق فى عملية دقيقة، كما يعتمد ذلك أيضاً على الشهوة الكامنة فى الإنسان ذكره وأنثاه وهى غريزة النوع التى تثور طالبة الإشباع، ودافعة كلا الزوجين "الذكر والأنثى" إلى الإلتقاء الجنسى والتزاوج، إذ أودعت لدى كل منهما الشّهوة للالتقاء بقرينه بقصد الإشباع بالاستمتاع واللذة، ليتم أمر الله تعالى الذى قُدر، بالتناسل لبقاء النوع الإنساني.

(وهكذا نجد بأنّ نظام الزّوجية هو الوسيلة الوحيدة لبقاء الحياة التى شاء الله بقاءها واستمرارها على الأرض بالتناسل. ونظام الزّوجية هو الدليل الثابت على ما فى اطراد الزّوجية فى النبات والحيوان من دليل على القصد ونفى المصادفة، ويظل التكوين الجنينى للإنسان فى تصويره، وخلقته وعظامه وكسوته، وقراره المكين إلى قدره ومدته، فى زوايا ظلمته..... أعظم دليل على القصد الإلهي. قال تعالى:{**يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ**}[2]

بويضة (*Ovum*) مثل بيضة الدجاجة، ولكنها أصغر منها بكثير، قطرها

(*1*) صماخ: ثقب.
(*2*) الزمر: (6).

يتـراوح بـين جـزء وبـين جـزئين مـن (*10*) أجـزاء مـن المليمتـر.
ووزنها جزء من مليون جزء من الغرام وفيها مُح (*cytopalasme*) وفى المح (الحويصلة الجرثومية *Nuyau*) التى يبلغ قطرها جزءاً من (*700*) جزء من القيـراط. [1] وفيهـا تكمـن (النطفـة الجرثوميـة *Nucleole*) التـى يبلـغ قطرهـا جزءاً من (*3000*) جزء من القيراط.... هذه هى البويضة. تتكون فى ظلمة المبيض ضمن حويصلة تسبح فى سائلها الألبومينى (الزلالى *Albumin*). فإذا نمت هذه الحويصلة وازداد السائل الذى فى باطنها، يتمدد غشاؤها ويرق ثم ينفجر وتخرج البويضة منها ومن المبيض كله.

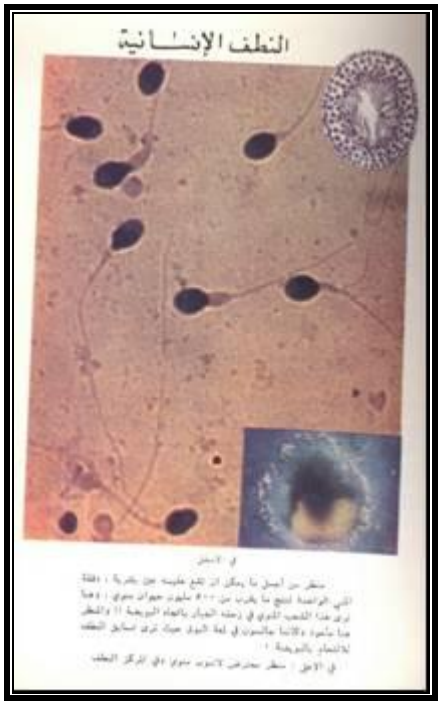

الجهاز التناسلى المذكر "محل البذر" يتكون من مصنع للنطف ومن مجموعة من الأنابيب الدقيقة التى توصل تلك النطف *Spermatozoons* عبر

(*1*) القيراط: هو جزء من 20 جزء من المثقال الذى يساوى 4. (25 جرام).

وتسير البويضة إلى فم (البوق *Oviduct*) وهو عبارة عن طريق ضيق دقيق قطره قطر شعرة، يختبئ وراء (الرحم *Uterus*) ويمتد منه إلى (المبيض *Ovay*) ويدخل (الحيوان المنوى المذكر*Male Spermatzoon*) من الرحم حتى يصل إلى (البوق *Oviduct*) حيث يلتقى بالبويضة. ولكن هذا الحيوان صغير جداً جداً بالنسبة إلى البويضة، فطوله عبارة عن *60* جزءاً من ألف جزء من المليمتر، يسبح بسرعة هائلة فى السائل (المنوي*Spermatic*) الذى يقذف به، وسباحته تتم فى حركة لولبية حى تؤتى السّرعة المطلوبة، وجوهر هذا الحيوان المَنَوِى فى رأسه لا فى ذنبه، ولذلك جعل له رأس مُكوّز وَجُعِلَ برأسه عنق لولبي، وَجُعِلَ لعنقه ذنب طويل يَضرب به الماء الذى يسبح فيه ويقذف بنفسه، وجعل هذا الذيل معقوداً بأنشوطة لينفكَّ عنه إذا دخل البويضة.

أما عدد الحيوانات المنوية الذكرية (*Male Spermatzoons*) فيربو على (*200*) مليون، ولكنه لا يصل إلى البويضة إلاّ من كان أقواها وأسرعها، حتى يمكنه اختراق الباب الخاصّ الذى يوصله إلى البويضه، الباب المسمى: باب الجاذبية (*Cone d'attraction*) فعندما يدخل الحيوان المنوى ينغلق الباب، وتنقطع الجاذبية وبذلك تموت جميع الحيوانات المنوية الأخرى. ثم تستقرّ البويضة فى (الرَّحْم *Uterus*)، فتفتح خلايا غشائه المخاطي، وتتسع الشعيرات الدموية فيه، وتنشط الغدد، ثم يبدأ العمل المشترك ما بين الحيوان المنوى والبويضة فى بناء الإنسان الجديد. فيمشج الشريكان كلٌ ما عنده بما عند الآخر من عناصر التخطيط النووى (الكروموزات *Chromosomes*) وما فيها من الخلق المخلقة (الجينات *Genes*) التى خطّتها وخلّقتها وسوّتها يدُ المُقدِّر الخالق لها قانوناً وسُنّةً عبر الأجيال من الجدود والآباء إلى الأبناء والأحفاد من (سلالة من طين) ثم (سلالة من

ماء مهين) لتتكوّن من هذا الإختلاط (النطفة الأمشاج *Fertilized Ovem*) التى أشار إليها أحسن الخالقين:

(**إنّـا خَلقنـا الإنسـانَ مِـنْ نُّطفـةٍ أمْشـاجٍ نَبْتليـهِ فَجَعَلنـاُ سَميعاً بَصيراً**)[1] وعناصـر التخطيـط والتخليـق والتسوية التـى يخلِقُ الله بهـا المضـغة لتكـون بشراً سوياً فرداً يتميز عن غيره من الناس بكل صفاته الجسدية والعقلية من شكلٍ وقدٍ ولـون وذكـورةٍ وأنوثـةٍ وجمـال وذكـاء وأخـلاق ترسم كلهـا للفرد الخطوط الأولى من حظه فى الحياة.

وهكذا فإنّ البويضةّ التى تحمل فى نواتها عناصـر التخطيط المذكورة، تسير النطفة الأمشاج سيراً رهواً بطيئاً فى البوق فلا تنتهى منـه إلـى الرّحم إلا بعد ثمانية أو عشرة أيام، تقوم خلالها بتقسيم نفسها تقسيماً بعد تقسيم لكى تهيأ لكل قسم وتعدّه للدور الذى سيقوم بـه فـى تكوين الجنين الجديد أو فـى حفظه وحمايته ووقايته أو تغذيته.

وعندما تصل تلك البويضـة الملقحـة إلـى الرّحم تلتصـق بجداره، وتبدأ خلايا ألأقسام عملها العظيم بالتعاون مع بعضها أو مع خلايـا جدار الرّحم، فتجعل حول الجنين غلافاً فوق غلاف فوق غلاف....

فـالغلاف الأول الظـاهر الـذى يحـيط بجميـع الأغشـية ويسـمى (السّـلى *Chortion*) فهـو المعـدّ فـى جانبـه الملتصـق بجـدار الـرّحم كوسـيلة للتغذيـة الأولية ثم لتكوين المشيمة الحجبية، وفى جانبه الظاهر غير الملتصق بجدار الرّحم كوسيلة لوقاية الجنين وحفظه.

والغلاف الثانى ينسج تحت الكوريون ليحيط بـالجنين إحاطـة كاملـة من وراء غلاف مائى يحيط بـالجنين إحاطـة مباشرة ليقيـه مـع الغلافين الأولين

(*1*) الإنسان (الدهر): (2).

كل صدمة أو رجة تأتى من الخارج. وتبدأ فى الوقت نفسه، الخلايا الجرثومية (المخلّقة) التى تكون الجنين سيرها فى تطورها من نطفة إلى علقة إلى مضغة، على الترتيب الذى فى القرآن الكريم.

ومن هذه المضغة المخططة المخلقة بكروموزوماتها المتخالطة وجيناتها يبدأ تكوين الأعضاء والأحشاء، كما بدأ تكوين أغشية الحفظ والوقاية والتغذية من خلايا المحّيّة غير المخلقة. فيقوم قسم من الخلايا الجرثومية بتكوين مبادئ القلب، بينما يقوم قسم آخر منها بتكوين المخ ومباديء العمود الفقري، إلى جانب خلايا أخرى تقوم بتكوين مبادئ الأحشاء من الجهاز الهضمى والتنفسى والتناسلي، إلى جانب خلايا أخرى تقوم بتكوين العظام، كل فى دائرة اختصاصه. فلا ينتهى الشّهر الثانى إلاّ وتكاد المضغة تصبح إنساناً كاملاً بجميع أعضائه وأحشائه وأعصابه. وهنا السِّر فى الخلق، إذ أنّ هذه الخلايا لها من فطرة الخالق ما يعطيها القدرة على أن تسوّى إنساناً كاملاً، ولكنها تصير عاجزة حين تصبح هى نفسها إنساناً كاملاً عن أن تخلق ذبابة.{**رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**}[1]

أمّا الوظيفة التى تقوم بها المشيمة (*Placenta*)[2] فهى آية أخرى من آيات الإعجاز فخلايا الكوريون وخلايا جدار الرّحم تشترك كما قلنا فى صنع المشيمة للجنين... وهذا الجنين الجديد، يحتاج إذا صار مضغة وتكونت أعضاؤه إلى طريقة من التغذية غير الطريقة الامتصاصية

---

(1) طه: (50).

(2) المشيمة أو السخذ: عضو مؤقت متصل بباطن جدار الرحم عند معظم الثدييات، بواسطتها يتلقى الجنين غذاؤه، وهى مؤلفة من أنسجة مستمدة من الأم والجنين معاً، وتتصل بالجنين بحبل سرى غليظ تمتد أوعية الجنين الدموية عبر هذا الحبل إلى المشيمة ثم ترتد راجعة إلى الجنين، تمتص المشيمة الغذاء والأوكسجين من الأم فينقلان عبر الأوعية الدموية فى الحبل السرى إلى الجنين، وتحمل الفضلات التى يفرزها الجنين إلى المشيمة فيمتصها دم الأم إلى خارج الجسم.

الارتشاحية الساذجة التى تحصل بين خمل الكوريون وبين جيوب الدم الرّحمية، لأنّ حاجة الجنين إلى الدّم إذا كبر ستكون أكبر، وحاجة الدّم إلى التصفية إذاً ستكون أكثر، وبما أنه لا يجوز أن يدخل دم الأم بذاته إلى الجنين، وأنّ دَمَ الجنين يجب أن يتخلص من أقذاره وسمومه كما يتخلص كل حيوان، فلا بد من وجود آلة كبرى تتولى هذا الترشيح والتوريد والتصدير بين دم الأم الوارد المطهَّر ودم الجنين الصادر القذر، فكانت المشيمة العجيبة التى بنتها الخلايا من خمل الكوريون وأهدابه ومن جيوب الدّم الرحمية، وجعلتها موصولة بسّرة الجنين بحبل يحمل منها إليه عناصر الغذاء والأوكسجين التى تستخلصها المشيمة من دم الأم، ثم الحبل من الجنين إلى المشيمة فى وريد آخر ما يتكون فى الجنين من سموم وأقذار، حتى إذا خرج الجنين إلى عالَم النور والهواء والثدى وأصبح قادراً على تنفس الهواء برئتيه وامتصاص الغذاء بشفتيه، وقادراً على حرق قمامته فى سَحْره، ولفظها من نحره، قطعت المشيمة عن الولد وسُدّ باب السّرة إلى الأبد. (1)

إنَّ هذا النظام الغريب، والجهاز المعقد الدقيق، والتصميم العجيب فى خلق الإنسان من بين الصلب والترائب، فى حيوان الذكر المنوى وبويضة الأنثى، ثم تخلقه فى الأجنّة فى بطون النساء، لهو الآية الكبرى والدليل الدامغ على قدرة الله تعالى فى الخلق والتصوير... ولو تأمل الإنسان وتفكر لوعى وتبصر. ويكفى الإنسان الواعى الباحث عن الحقيقة المجردة التأمل والتفكير فى الدّقة المتناهية فى هذا الجهاز البالغ التعقيد والنظام البديع الذى يُسَيّره، بحيث لا يترك أى مجال للصدفة. بل تنظيم دقيق جداً لا يترك شاردة ولا واردة إلا وأعد لها نظام سيرها مسبقاً، ليتم التناسل والتكاثر

---

(1) الزين - سَميح عاطف، مجمع البيان الحديث - قصص الأنبياء فى القرآن الكريم، الصفحات (61 - 66). بتصرف.

بموجبه حِفاظاً على النوع الإنساني. لذا يوجه الله تعالى الدعوة للإنسان للتأمل والتفكير فى خلق نفسه، بما فى ذلك هذا الجهاز المعقد الدقيق والنظام البديع المسير له:

{فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ}(1){سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}(2)

هذا هو الإنسان الذى خلقه الله فى أحسن تقويم، وجعل أصل وجوده من طين وتراب الأرض، وأوجب عليه أن يتم خلقه ووجوده بقانون واحد هو: الزوجية المؤدية إلى التناسل والتكاثر، وليتم ذلك فقد خلق لكل من الذكر والأُنثى هذا الجهاز المعقد، وزرع فى نفس كل منهما الشهوة الغريزية إلى الجنس الآخر، لتثور متطلبة الإشباع، ليتم أمر الله من التوالد والتناسل والتكاثر، للمحافظة على بقاء النوع الإنساني.

ومما يجدر الانتباه إليه: "أنّ المسافة بين النطفة فى خصية الرجل أو بويضة المرأة حتى يجتمعا معاً مسافة بعيدة، ففى الأنثى تتكون البويضة منذ كانت هى جنيناً فى بطن أمها... وتنمو ببطء شديد، ثم تتوقف عن النمو هامدة فترة طويلة من الزمان... وتبدأ نموها مرة أخرى بعد البلوغ.... بويضة واحدة كل شهر، لا تتوقف منذ البلوغ إلى سنّ اليأس، إلا عند حدوث الحمل. أمّا فى الذكر فإنّ خلايا الخصية تظلّ هامدة حتى سنّ البلوغ، عندها تستيقظ من رقدتها وهجعتها الطويلة، وتبدأ فى إنتاج وإخراج ملايين الحيوانات المنوية. وتحتاج الخصية إلى ستة أسابيع تقريباً حتى يكتمل فيها نمو الحيوان المنوي. فإذا ما التقى الحيوان المنوى "نطفة

---

(1) الطارق: (5 - 8).
(2) فصلت: (35).

الرجـل" بالبويضـة "نطفـة الأنثـى" ولقحهـا بـأمر الله... تكوّنـت عندئـذٍ النطفـة الأمشـاج المختلطـة مـن مـاءى الـذكر والأنثـى، وتحتـاج إلـى أسبوع تقريباً حتى تبدأ فى العلوق فى جدار الرحم، ويتم علوقها وانغرازها فـى يـومين، فتكـون مرحلـة مـا تسـتغرقه النطفـة الأمشـاج أربعـين يومـاً كاملة"(1)

إنّه جهاز دقيق... بقوانين ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، فرضـها من خلقها وأبـدعها، وألـزم هـذا الجهـاز السّـير بهـذا القـانون لا يخالفـه.{**إِنَّـا خَلَقْنَـا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ**}(2)

(1) الزين - سميح عاطف، مجمع البيان الحديث - قصص الأنبياء فى القرآن الكريم، صفحة (57) بتصرف.

(2) الدهر: (2).